

المسجد والبيئة الصالحة

الشيخ عبد الرحمن شبان

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إن معالي وزير البيئة وتهيئة الإقليم والبيئة والسياحة لم يتكلم في خطابه العامر الزاهر، بصفته وزيراً للبيئة فحسب، بل إنه قد تكلم - إلى جانب ذلك - معلماً، وأستاذاً، ومربياً، وطبيباً، وإماماً واعظاً، ومرشداً، وإعلامياً حصيفاً، مما يجعل كل كلام بعد كلامه بمثابة الهالة حول القمر، باستثناء كلام معالي السيد وزير الشؤون الدينية طبعاً، فإنه هو أيضاً، قمر له هالته الخاصة به.

أما نحن فنرى أن البيئة الصالحة في أي مجتمع تتوقف، أول مما تتوقف على الطهارة المادية في الجسم، والثوب، والمكان، وعلى الطهارة المعنوية في العقيدة الصحيحة، وقول الحق، وفعل الخير، وهذا كله يدعو إليه المسجد في الصلوات الخمس، والجمع، والأعياد، فلذلك حث الرسول ﷺ على الاتصال المستمر بالمساجد، في سنته القولية والفعلية، من ذلك ما رواه الإمام البخاري عليه رحمة الله في صحيحه عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه).

المجتمع السليم:

فالمجتمع السليم لا يتحقق، ولا ينهض، ولا يزدهر، ولا يتماسك ولا يتحد فيقوى، ويعز فيدفع عن نفسه كل أذى إلا إذا توفرت لديه قيادة رشيدة، يمثلها الإمام العادل، وطاقة إنتاجية حيّة يمثلها: "شاب نشأ في عبادة ربه، وتعاون أفراد المجتمع التي يمثلها: رجلا

تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه"، وعفة تصون رجاله ونساءه من الانحراف، يمثلها: "رجل طلبته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ومال يحرر أفراد المجتمع من ذل الحاجة وويلات الفقر يمثلها: "رجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، وخوف الله الذي هو رأس الحكمة، يصنع المؤمنين الصادقين والمؤمنات الصادقات ويمثلها: "رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه".

ونعود إلى ثالث المستظلين السبعة بظل الله، الرجل المعلق قلبه بالمساجد، فإنه بالتزامه الاتصال المستمر بالمساجد، ما يجعله يواظب على الصلاة التي قال الله تعالى في أثرها الطيب الجسم، في الآية القرآنية: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥.

منارة للاستقامة:

ولأجل ما يقدمه المسجد لرواده، من وعي وسلوك ضروريين للبيئة المثالية المنشودة، يعتني المسلمون من قديم العصور في مختلف الأمصار بتشييد المساجد وعمارتها، واتخاذها منارات لتنوير العقول، وتحرير النفوس، من سلطة الشيطان، مثل جامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب الأقصى، ومساجد الجزائر في المدن والقرى، مراكز إشعاع للثقافة والحضارة والهداية.

وقد اعتمدت جمعية العلماء في حركتها الوطنية النهضة الإصلاحية الشاملة -إلى جانب المدرسة، والمعهد، والنادي، والكتاب، والجريدة - على المسجد، كما يتضح ذلك فيما أنشده الداعية الإسلامي الشاعر المرحوم أحمد سحنون، بمناسبة افتتاح الإمام الشهيد العربي التبسي - نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومدير معهد الإمام عبد الحميد بن باديس، بقسنطينة- لمسجد تازمالت بولاية بجاية في 20 أفريل 1954 إذ يقول، في قصيدته العصماء الفريدة، تحت عنوان: تعالوا إلى المسجد:

تعالوا سراعاً إلى المسجد إلى ملتقى الركع السجد
إلى منتدى الصالحين إلى مبتغى الخشع الزهد
إلى مشرق النور للتائبين ببيداء في غيهب أسود
فيا أيها أنفس الظامات إلى عرضات الهدى والعالا
إلى مرتقى المجد والسؤدد إلى المنهل الطيب المورد
تعالى اسمعي العبر البالغات ففي نبعها ري كل صد
تعالى اسمعي الحكم الخالدات وسيري إلى الله لا تقعدى
ولا تسمعي لنعيق الألى يرون الضلالة أن ترشدي
فمسجدك الحر⁽¹⁾ خير الأداة لفك القيود عن الأعب⁽²⁾
لقد صنع المسجد المعجزات بإنهاض مجتمع مقعد
وصاغ نفوس الجدود الأباة على شرف الخلق والمقصد
وأخرج جيش الغزاة الهداة إلى الله من كل مستأسد
وكل طموح إلى المكرمات سريع لخوض الوغى مفتد
وكل سخي عظيم الهبات حمي شديد إلا با أصيد
هنا الله أكبر يحيي الفؤاد صداها ولو قد من جُلعد
هنا يشتفي جاهل من عمى هنا من يجيء غويا يهتد
هنا النصر للمسلم المهتدي على كل مستعمر معتد
هنا يتحرر عبد الهوى ويصبح في عزة السيد
لقد طلع الفجر يا سان الشمال⁽³⁾ فقم شاهد النور لا ترقد

وواصل خطاك بدرب الحياة	ستجني ثمار المنى في غد
ولا تحن رأسك للظالمين	ولا تخضعن لمستعبد
فإنك من نسل قوم علوا	بهماتهم هامة الفرقد
فأحيي مآثرهم واستعد	مفاخرهم وبهم فاقتد
وكن مثلاً لللقى عاليا	يدل على شرف المحتد
ومالك جاهد بإنفاقه	وانجد به كل مسترفد
فإن التعاون روح الحياة	فكن خير عون بها تحمد
وخذ لانك المصلح المبني	كنصرك للهادم المفسد
ودنيك ليست تتيح الخلود	سوى باكتساب العلى فاخذ
ويا أيها الوفد بوركت من	مجيب لداعي الهدى مسعد
وبورك يومك في الدهر إذ	به فتحت دفئا مسجد
فما هو يوم ولكنه	لعمرك "عيد" به عيد

الهوامش

(1) المسجد الحر: من المساجد التي تشرف على بنائها جمعية العلماء بأموال الشعب، وتسييرها تسييرا حرا مستقلا، بعيدا عن السلطة الاستعمارية التي استولت على المساجد التي بناها الأسلاف الكرام قبل الاحتلال.

(2) الأعبء: المستعمرون. (3) الشمال: الشمال الإفريقي (الجزائر وتونس والمغرب).